https://doi.org/10.71311/.v6i2.244

الثنائيات القلقة في شعر عنترة بن شداد بين التأزم والتلازم

أ. د. محمد أحمد غالب العامري
أستاذ الأدب والنقد بجامعة صنعاء
Alamry_1971@yahoo.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/2/20 تاريخ قبول البحث 2025/4/11
تاريخ نشر البحث 2025/12/23

ملخص:

يوجز لنا هذا البحث - من خلال شعر عنترة بن شداد- قصة الصراع الدائر في نفسه، والتنازع السائد حياته، والتناقض والانفصام اللذين كان يحس بهما وعايشهما داخليا وخارجيا. ولا يبعد المرء إذا زعم أن حياة عنترة وأشلاء نفسيته جمعت من الأضداد والتناقضات المتأزمة والمتلازمة على نحو يقل أو ينعدم عند غيره، لكنه بالرغم من ذلك أبدع وتألقت شخصيته، وانتزع لنفسه مكانة تكاد تكون أسطورية؛ لأنه استطاع أن يكون على رغم التناقضات معتدلاً، ولأنه تعايش مع ذلك ببراعة راضياً أو كارهاً أو مكرَها، ذلك ما أوحت إلينا به الثنائيات القلقة في شعره. وأهم النتائج التي خلص إليها البحث:

1. يوحي شعر عنترة لقارئه بوجود إحساس داخلي عميق لدى الشاعر يشي بضعفه أو بعقدة نقص مسيطرة عليه، لكنه لم يستسلم لذلك ظاهرياً على الأقل.
2. حاول عنترة تضخيم شجاعته، والجوانب الإيجابية التي أعطيها لتغطية جوانب ضعفه النفسية الداخلية، أو الخارجية الاجتماعية.
3. التمرد الإيجابي في شخصية عنترة، وتكييفه للتناقضات في حياته وتكيُّفُه معها؛ هو الأمر الذي جعل منه أسطورة البطل الفذ.

اتبع الباحث في هذا البحث منهجي التاريخي، والوصفي التحليلي، واستفاد نقدياً من المنهج النفسي.

الكلمات المفتاحية: الثنائيات، القلقة، التأزم، التلازم، عنترة بن شداد.

ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد التاسع عشر- رجب 1447هـ- ديسمبر 2025م
مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية

The Unsettling Dualities in the Poetry of Antara bin Shaddad: Between Tension and Correlation

By Prof Dr. Mohammed Ahmed Ghaleb Al Ameri
Professor of Literature and Criticism, Sana'a University
Arabic literature@ literary Criticism
Alamry_1971@yahoo.com

Abstract:

This research elucidates—through the poetry of Antara ibn Shaddad—the story of the internal conflict raging within him, the pervasive strife in his life, and the contradictions and inner division he felt and experienced both internally and externally. It is not far-fetched to claim that Antara's life and the fragmented shards of his psyche comprised a collection of conflicting and contradictory elements, locked in a state of both crisis and inseparability, to a degree rare or non-existent in others. Yet, despite this, his character was creative and brilliant, and he secured for himself an almost mythical status; because he managed to maintain a balance despite these contradictions, and because he coexisted with them masterfully—whether willingly, unwillingly, or by compulsion. This is what the unsettling dualities in his poetry have suggested to us.

The most important findings of the research are:

1. Antara's poetry suggests to the reader a profound internal sentiment within the poet, hinting at his weakness or a dominating inferiority complex, yet he did not surrender to it, at least outwardly.
2. Antara attempted to amplify his courage and the positive attributes he was given, to mask his internal psychological weaknesses or external social vulnerabilities.
3. The positive rebellion in Antara's character, along with his ability to modulate the contradictions in his life and adapt to them, is what forged his legend as a peerless hero.

The researcher employed both historical and descriptive-analytical methodologies, while also critically drawing on psychological criticism.

Key words: Unsettling Dualities, Crisis, Inseparability, Psychological Conflict, Antara ibn Shaddad.

مقدمة

الثنائيات كثيرة في الحياة وفي الكون، فقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه أن تسود حياتنا كثير من الثنائيات المختلفة: المتضادة والمتكاملة، المتعاونة والمتصارعة،... فليس وجود الثنائيات في شعر عنترة ما يلفت الانتباه، لكن ما يلفت الانتباه ويستحق الاهتمام: طبيعة تلك الثنائيات، وطبيعة علاقتها ببعضها، وما يوحي به ذلك كله؛ ذلك هو ما دفع الباحث لكتابة هذا البحث.

وكان مصدر اعتمادي في شواهدي شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي الذي قدم له ووضع هوامشه مجيد طراد، فإذا أحلت على ديوانه دون تحديد فهو المقصود، ولم أنتقل إلى غيره إلا حين لا أجد الشاهد فيه.

مشكلة البحث: تتلخص في السؤالين الآتيين:

1. ما طبيعة الثنائيات السائدة في شعر عنترة؟
2. ما النتائج التي يمكن استنتاجها من طبيعة العلاقة السائدة بين تلك الثنائيات؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

1. معرفة طبيعة الثنائيات السائدة في شعر عنترة.
2. بيان طبيعة العلاقة السائدة بين الثنائيات في شعر عنترة.
3. تتبع أثر العلاقة السائدة بين الثنائيات في شعر عنترة.

خطة البحث: رأيت أن الثنائيات القلقة في شعر عنترة يبرز أثر تأزمها وتلازمها أكثر في حياة عنترة مع أمور ثلاثة، فكانت هي محاور هذا البحث، وهي:

المحور الأول: مع اللون الأسود

المحور الثاني: مع القبيلة

المحور الثالث: مع الفروسية

ذلك أن أباه ذو نسب ومكانة، وهو كان عبداً محتقراً نصيبه المهانة بسبب سواد لونه. وفي حين أنه كان يملك نفسا حرة أبية، لكنه بدأ حياته رقاً واستكانة. قلبه - فيما يقول - أبيض ولونه أسود. لا يحب قبيلته لكنه ينتصر لها، ويبذل في سبيلها جهده ومهجته. يحارب في سبيل القبيلة ويشكوها، وهي تزدريه ولم تتقبله مستسيغة أو مجاملة، لكنها عند الملمات: تعده فارسها المغوار، به تشيد وإياه تستغيث. رفض أعراف القبيلة ولم يتمرد عليها، وتماشى مع مألوف القبيلة دون أن يرتضيها. نفسه من الداخل محطمة، وهو في الخارج صاخب

مجلة جامعة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد التاسع عشر- رجب 1447هـ- ديسمبر 2025م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

هـادر. شـعوره وإحساسـه متمحـوران حـول ذاتـه، وفروسـيته وقتالـه منصـبان في مصـلحة القبيلة، ولاستمالة قلب عبلة ونيل رضاها.

منهج البحث وإجراءاته: اتبع الباحث منهجي البحث: التاريخي، والوصفي التحليلي، واستفاد نقدياً من المنهج النفسي.

المحور الأول: مع اللون الأسود

أ. تأزم ثنائي: الاستسلام/التمرد

"فاتحة القلق"

من العادات التي كانت مألوفة في المجتمع العربي في العصر الجاهلي أن الرجل الحر إذا جاءه ولد أسود اللون من جارية لا يعترف له بالحرية ولا يلحقه بنسبه، بل يعده عبداً، وأطلقوا على هؤلاء السود اسما خاصا تمييزا لهم من إخوانهم الهجناء البيض، فسموهم "الأغربة" تشبيها لهم بذلك الطائر البغيض المشئوم في لونه الأسود، ونسبوهم في أكثر الحالات إلى أمهاتهم. ويخرج هؤلاء "الأغربة" إلى الحياة، بلونهم الأسود الذي يبغضه مجتمعهم، والذي لا يد لهم فيه، ولا خروج لهم منه، فإذا هو يحول - من البدء- دون أن يعترف بهم آباؤهم، ثم هو بعد ذلك يقف صخرة تتحطم عليها آمالهم في أن يشاركوا في الحياة الاجتماعية كما يشارك غيرهم، ولا يبئ لهم إلا فرصة ضيقة للحياة على هامش المجتمع حياة ذليلة محتقرة يخدمون فيها سادتهم ويقومون لهم بتلك الأعمال الفرعية التي يأنفون هم من القيام بها، أما الأعمال الأساسية فلا يقوم بها إلا أبناء الحرائر، فما يحسن هؤلاء الأغربة أولاد الإماء السود غير الحلاب والصر([1]. ومن أولئك الأغربة عنترة، فقد ورث عن أمه لونها الأسود ومن ثم عبوديتها، فكان اسمه عنترة بن زبيبة، وأضحى عبداً في مجتمع يقسم أبناءه إلى طبقات أحرار وعبيد. ولم يكن حال عنترة - ابتداء- بدعاً في المجتمع الجاهلي الذي يعيش فيه، فأمثاله كثيرون.

وكان مصير من هو أسود وهجين كحال عنترة في الجاهلية يتأرجح بين نهجين:

النهج الأول: الاستسلام المطلق لعنصرية اللون، وهذا يعني: الرضا بالعبودية، والاستسلام للواقع، والتكيف مع مسلماته على ما فيها من مرارة وسوء وغبن وجور، وحينئذٍ يعيش حياة الذل والسخرة التي يعيشها العبيد كما سلف، ونماذج هذه الحالة كثيرة لم نسمع بهم بالرغم من كثرتهم؛ فهم لا يذكرن لأنهم في الحياة لا يؤثرون.

---

(1). ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي: 111.

النهج الثاني: أن يتمرد على عقيدة المجتمع الظالمة القاسية، ويدفع ضريبة ذلك، فيفاصل المجتمع ليعيش حياة التشرد ضمن جماعات الصعاليك، مثل: الشنفرى الأزدي، والسليك بن السلكة، وتأبط شراً، وأضرابهم[1].

وعنترة واحد من أولئك السود أو من كان يطلق عليهم أغربة العرب[2]، ولد لأمةٍ حبشية سوداء تسمى زبيبة، قال عنها[3]:

و أَنا ابْنُ سوْداءِ الجبين كأَنَّها ضَبُعٌ تَرعْرَع في رُسومِ المنْزل
الساق منها مثلُ ساق نعامةٍ والشَّعرُ منها مثْلُ حَبِّ الفُلْفُل
والثغر من تحتِ اللثام كأنه برْقٌ تلألأْ في الظّلام المُسدَل

وكان يُتوقع منه أن يختار أحد النهجين السابقين، لكنه كان نسيجاً وحده، مثَّل شخصية فذة: فلم يستسلم لعقيدة المجتمع ويؤثر سيرة العبيد الخانعين المستسلمين للواقع، كما أنه رفض الخروج عن الجماعة ليكون صعلوكاً شريداً طريداً، بل آثر أن ينال حريته، وأن يسترد نسبه على رغم وجود عوائق عميقة، وعقبات معقدة، فكان وهو يرعى الإبل يتدرب على الفروسية ويأخذ نفسه بالعزيمة.

لعل قلق عنترة الواعي أو غير الواعي من الثنائيتين السابقتين (الاستسلام/التمرد)، بتأثير همته العالية وإبائه وتمرده الإيجابي، وتكييفه للتناقضات في حياته وتكيفه معها؛ هو الأمر الأهم الذي أشهر عنترة، وأكسبه إعجاب اللاحقين وتعاطفهم، وأضفى على سيرته قدرا كبيرا من المثالية، بل والأسطورية، ونُسب إليه كثير من القيم والمثل العليا، وبسبب ذلك أيضاً قدر لسيرته الشهرة والشيوع.

ب. تأزم ثنائي (العقدة/العقيدة)
"عقدة عنترة، وعقيدة المجتمع"

عقيدة (دونية ذوي اللون الأسود) المسيطرة على المجتمع الجاهلي التي جعلته يقسم أبناءه منطلقا منها؛ ولدت عقدة الشعور بالنقص لدى عنترة بن شداد بسبب لونه الأسود الكالح على نحو: عميق في نفسه، وبارز في شعره، وملازم لحياته.

---

(1). ينظر: الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية: 136.
(2). ينظر: الشعر والشعراء: 244/1.
(3). شرح ديوانه 135.

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد التاسع عشر- رجب 1447هـ- ديسمبر 2025م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

وكان عنترة يعبر عن معضلته اللونية بالإشارة مرة، وبالتصريح مرات، ويحاول تبرير ذلك للناس أو إقناع نفسه بتجاوز أثر ذلك، فهو متميز بما هو أهم، واكتسب من المعالي بحد سيفه وسنان رمحه ما يغطي على نقيصة لونه، وماضي عبوديته، وما تفوق به على البيض من ذوي الأحساب المعممين المخولين[1]:

وما عابَ الزَّمانُ عليّ لوْني ولا حَطّ السوادُ رفيع قَدري

سموتُ إلى العلا وعلوتُ حتى رأَيتُ النَّجمَ تَحتي وهو يجري

الشاعر هنا يحاول أن ينطلق منطلقاً منطقياً؛ لأنه يحس وكأنه في مناظرة مع قومه يحاول إفحامهم إن لم يقتنعوا. بدأ بالهجوم غير المباشر على معيارهم اللوني في التفاضل، مبيناً أنه غير صائب، ومن ثم فهو غير معترف به، مستشهداً بصنيع الزمان معه، فهو-الزمن- لم يأبه بهذا المعيار الشائل المائل؛ لذلك لم يعب على الشاعر سواده، ولا آخذه فيه. ثم زعم أن له قدراً رفيعاً لا ينكر، وأن قدره أعلى وأمتن من أن يناله اللون الأسود بالنقص، وهو بهذا يعترف أو يحس أن اللون الأسود عيب ونقيصة، لكنه تجاوز أثر ذلك بما بناه لنفسه بسيفه من مكانة رفيعة.

اتِّكاء الشاعر على (الزمان) في قوله: "**وما عابَ الزَّمانُ عليّ لوْني**" يوحي بدلالات عدة، منها: تضخيم الشاعر ذاته، فالزمان بهيبته ورهبته وسطوته مما يعنيه أمر الشاعر، ويقف في صفه، وكأنه يقول لا يهمني بعد ذلك كثيراً أن يجهل قومي قدري. ومنها تضخم عقدة اللون الأسود في نفس الشاعر؛ وكأنه يخيل إليه أن كل الكائنات مسلمة بنقيصة أصحاب اللون الأسود، فلم يجد من يمكن أن يلتمس منه سلوة، فاتجه إلى الزمان ونسب إليه ما نسب بحق أو دعوى مجردة، وليس بمقدور أحد أن يكذب دعواه؛ لأنه لا أحد يستطيع أن يدرك ذلك أو أن يسأل الزمان ليتثبت منه. لكن كان الشاعر في اتكائه على الزمان غير طموح، فلم ينسب إليه موقفاً قوياً مسانداً له، واكتفى منه بالحياد الإيجابي، وعد ذلك فخراً وانتصاراً؛ وهذا يوحي باستحكام عقدة النقص اللونية في نفسه، فهو لا يتوقع وجود نصير يقف بجانبه وينتصر له إزاء هذه القضية، سواء أكان الزمان أم غيره، فقنع من الزمان بحياده، وعده شيئاً كبيراً.

---

[1]. السابق: 83.

وقال أيضاً[1]:

وإنْ عابتْ سوادي فهو فخري لأني فارسٌ من نسل حام

ولي قلْبٌ أشَدُّ منَ الرّواسي وذكري مثلُ عرْفِ المسْكِ نامي

في الشاهد السابق نفى أن يكون الزمان قد عيره بلونه، وهنا زعم أنها (عبلة) تلمزه بلونه، وتعيب عليه سواده، لكنه لم يستسلم، وتظاهر بعدم شعوره بغضاضة من صنيعها، أو هكذا حاول أن يتظاهر، بل رأيناه يكابر على نحو يناقض فيه نفسه في مواطن أخر- منها ما لمسناه في الشاهد السابق – ويجعل من لونه الأسود مصدر فخره واعتزازه. ولا ندري كيف كان سواده فخراً له، بل فخره كله!! مما جعل مجيء صورتي الفخر التاليتين على نحو هادئ، والمبالغة فيهما أقل مما هو مألوف عنه: فله قلب قوي صلب، وذكر بين الناس طيب مثل عرف المسك.

وعلى نحو قريب مما سبق نجده يقول[2]:

لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسب يوم النزال إذا ما فاتني النسب

تقترب الصورة هنا منها في الشاهد السابق، لكنه هنا أكثر هدوءاً وتواضعاً. نسب إليهم (قومه)- بصياغة لفظية موحية- أنهم يعيبون عليه سواد لونه، لكنه - فيما يزعم- لا يرى ذلك أمراً معيباً، بل عد ذلك نسباً له، وكما أنا لا ندري كيف كان سواده فخراً له في الشاهد السابق، فإنا هنا أيضاً لا ندري كيف كان سواده نسب له.

في هذا البيت لا نلحظ صورة من صور الفخر على نحو صريح، كما هو مألوف عنه في مثل هذا الموطن، بل نلحظ إقراراً غير مباشر بإحساسه بالدون، تأتّى ذلك من أمرين:

الأول: من استعماله (إذا) في قوله: "**إذا ما فاتني النسب**" وهي تدل على وقوع ما بعدها كثيراً، أي أنه كثيراً ما يفوته النسب.

الثاني من استعاضته عن نسبه المفقود بالانتساب إلى اللون الأسود، وكفى بذلك ضعة ومضيعة وفق عرف قومه، ووفق شعوره النفسي العميق.

وقال أيضاً لكن غير مقيد بأداة الشرط التي تكررت في الشاهدين السابقين، بل على نحو إخباري تقريري[3]:

يعيبونَ لوني بالسواد و إنما فعالهم بالخبث أسودُ من جلدي

---

[1]. السابق: 188.

[2]. السابق: 25.

[3]. السابق:59.

الصورة هنا تأخذ منحيَيْ: الدفاع والهجوم، جاعلاً من الهجوم وسيلة دفاعية تسقط دعوى الخصم، أو تقلل من قيمتها، متوسلاً إلى ذلك بالمقارنة القائمة على رد الهجوم بهجوم مضاد. استخدم الشاعر الفعل المضارع (يعيبون) بما فيه من دلالة التكرار غير المنقطع؛ ليضخم من شأنه، وكأنه قد أصبح شغلاً شاغلاً لأعدائه، فلا هم لهم إلا التصدي له ومحاولة التقليل من شأنه.

في الشطر الأول ذكر نقيصته التي يرميه بها أعداؤه (تعييره باللون الأسود) وفي الشطر الثاني ذكر أن لهم عيباً أكبر هاجمهم به ونسبه إليهم، فهم يتسمون بسواد أشد عيباً وأسوأ قبحاً، ذلك هو سواد أفعالهم المنبعثة من سواد بواطنهم، وشتان بين سواد اللون الذي لا شأن لصاحبه بجلبه، ولا قوة له بدفعه، وبين الأفعال السوداء التي يقترفها صاحبها نتيجة خبث نية وسوء نفس وقبح طوية.

في هذا البيت نحس عقدة الشاعر، واعترافه بنقيصة اللون الأسود على نحو أوضح من الشواهد السابقة، جاء ذلك من خلال المقارنة بين مستويي سواده وسوادهم، أو بين نقيصته التي رموه بها، وبين النقيصة التي رماهم هو بها، أبرز ذلك جلياً اسم التفضيل (أسود)، وكأنه يقول: إني أتفق وإياكم أن السواد عيب ونقيصة، وصحيح ما تنسبونه إلي من نقيصة اللون الأسود وخبثه وسوئه، لكن لديكم سواد أشد خبثاً وسوءاً هو سواد أفعالكم، فكان الأولى بكم أن تخجلوا من ذكر عيبي وعندكم عيب أكبر.

وفي قوله[1]:

تُعيّرني العِدى بِسوادِ جلْدي وبيض خصائلي تمحو السَّوادا

وقوله[2]:

شبيهُ اللّيلِ لوني غيرَ أنّي بفعلي منْ بياض الصُّبح أَسنى

وقوله[3]:

سوادي بياض حين تبدو شمائلي وفعلي على الأنساب يزهو ويفخر

يعترف بسواده صراحة، ويعترف - ضمناً- لأعدائه بصحة دعواهم وعقيدتهم بكون السواد مذمة وعيباً، لكنه ذهب إلى الادعاء أنه إذا كان السواد يشين غيره ويعيبه، فإن الأمر معه

---

[1]. السابق:49.

[2]. السابق:195.

[3]. السابق:79.

يأخذ منحى آخر، فهو يستحيل معه بياضاً؛ لأن له من المفاخر والمناقب والأخلاق الغراء ما يغطي كل عيب، ويرتفع به عن كل نقيصة.

ويقول في موطن آخر[1]:

ما ساءني لوني واسمُ زبيبةٍ إنْ قَصَّرَتْ عَنْ هِمَّتي أعدَائي

ومثله أيضاً[2]:

لئن أكُ أسوداً فالمسكُ لوني ومَا لسوادِ جِلدي منْ دواء

وَلَكِنْ تَبْعُدُ الفَحْشاءُ عَني كَبُعْدِ الأَرْضِ عَنْ جوِّ السَّماء

الشاعر في هذين النصين يقر أن السواد منقصة بل داء، لكنه على الرغم من ذلك يحاول التظاهر بتقبل واقعه والتصالح مع نفسه، مواسياً لها بأمرين: بما عُوِّض به عن السواد من همة عالية وأخلاق رفيعة، وبعد عن الدنايا. والثاني: أن سواده ليس من صنعه ابتداء، أيضاً لا يد له في بقائه فلا يمكنه إزالته.

وعلى نحو مقارب لكن مع مستوى من الثقة نفتقده في النماذج السابقة يقول[3]:

ألا يا عبل قد عاينتِ فعلي وبانَ لكِ الضلالُ من الرَّشاد

وإنْ أبْصَرْتِ مِثْلِي فاهْجُريني ولا يَلْحَقْكِ عارٌ منْ سَوادي

يستمر هنا في المقارنة بين ما أصابه من منقصة بسبب لونه الأسود، وما حازه من خصال الكمال.

ما تميزت به الصورة هنا الثقة العالية التي يظهر بها الشاعر، فلا نحس ذلك الانكسار النفسي المبطن الذي نلقاه في الشواهد السابقة وغيرها إزاء نقيصة اللون الأسود، بالرغم من اعترافه - هنا- بكونه (**عار من سوادي**). تبرز ملامح تلك الثقة في طبيعة الصياغة اللفظية التي انزاح إليها الشاعر: (عاينت فعلي – بان الضلال من الرشاد – إن أبصرت مثلي)، فأفعاله البيضاء المشرقة المشرفة تبرز جلية لكل ذي عينين، وضلال المزاعم المنتقِصة منه بينة جلية لكل أحد، وتفرده عن النظير، وتميزه عن الجميع شعور يخامر نفسه ويملأ جنباته.

وتستمر وتيرة الثقة بالنفس تنمو صُعُداً في قوله[4]:

---

[1]. السابق:22.

[2]. السابق نفسه.

[3]. السابق:65.

[4]. شرح ديوان عنترة: 157.

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد التاسع عشر- رجب 1447هـ- ديسمبر 2025م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

فكم يشكو كريمُ منْ لئيم وكم يَلْقى هِجانٌ[1] من هَجين[2]

وما وجد الأعادي فيَّ عيباً فعابوني بلون في العيون

هنا يهاجم الشاعر بقوة أعداءه وحاسديه، ويقيم بينه وبينهم مقارنة ضمنية في البيت الأول، فهو: كريم الأصل كريم الأخلاق، وشانئوه لئيمو الأخلاق مبتورو النسب، ومن دلائل كرم أخلاقه احتمال لئم صنعهم معه. ونراه في البيت الثاني متحلياً بقدر من الثقة بالنفس، محاولة منه في أن يواري عنا ذلك الإحساس والشعور العميقين بعقدة النقص بسبب سواد لونه التي لمسناها في كثير من صور التعبير الجلية والخفية في الشواهد السابقة، فهو هنا يزعم براءته من كل أوجه النقص الحسية والمعنوية، مدعياً أنما يتعرض له من ذلك التعيير بسواد لونه ليس هو في الحقيقة بعيب ولا منقصة.

التعبير بقوله: **"بلون في العيون"** دون ذكر السواد، واقتصار هذا اللون على العيون دون أن يتجاوزها إلى العقل والقلب والضمير، يوضح حسية هذه النظرة وسطحيتها وضيق حدودها؛ ولعل ذلك يقوي محاولة الشاعر إبراز تفرده بكريم الخلال، وبالخلو من العيوب، ويناقض صور التسليم والاستسلام لعقدته وعقيدة المجتمع السلبيتين إزاء اللون الأسود اللتين رأيناهما في الشواهد السابقة، فلم يعد سواد اللون بعيب، حتى من يعيرونه به هم في قرارات أنفسهم لا يعدونه عيباً حقيقيا، وإن كانوا يحاولون أن يتظاهروا بخلاف ما يقتنعون به مكابرة وحسداً، لكن ذلك لا يتجاوز عيونهم. ويجوز أن يكون الشاعر في قوله: **"بلون في العيون"** أراد سواد العين الذي هو رمز نورها وضيائها، ولعله الأقرب إلى الصواب؛ وهو بهذا يحسن اللون الأسود، وهو دفاع قوي، لكنه فريد عنده، وينم عن مستوى الثقة الكبيرة التي يتحلى بها في هذا الشاهد، ويمكن أن ينضم إليه قوله اليتيم الآخر: **"لئن أك أسوداً فالمسك لوني"** وهو أصرح في الدفاع وتحسين اللون الأسود؛ لكن الشاعر اقتصر على ذلك، ولم ينحُ هذا المنحى في الدفاع عن لونه؛ ليأسه من عدم جدوى ذلك نتيجة استحكام العقيدة في المجتمع أو العقدة في نفسه أو كليهما إزاء نقيصة اللون الأسود، ودونية ذويه.

الإلحاح السابق الكثيف من عنترة بتكرار ذكر سواد لونه، والتأكيد أنه لم يؤثر على قدراته، ولم يُنقِص من فروسيته وما أوتيه من مكارم الأخلاق، يوحي بالأمرين معاً (العقيدة والعقدة):

---

[1]. رجل هجان: كريم، جمهرة اللغة: 498/1.

[2]. الهجين: اللئم، ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: 2/ 634. والهجين أيضاً: من أُمُّه أَمةٌ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: 5406/8.

بالعقيدة الضاربة جذورها في أعراف المجتمع الجاهلي إزاء أصحاب اللون الأسود ممن أمهاتهم جوارٍ، وبالعقدة العميقة المسيطرة التي تولدت جراء ذلك في نفس عنترة، فاضطرته إلى هذا الدفاع المستميت محاولاً إقناع نفسه أو تسليتها أولاً، ومحيطه ثانياً في أنه قد أوتي من الفروسية والشمائل ما يخفف من سلبية لونه الأسود، وما يستحق معه أن يكون فرداً مقبولاً في المجتمع، ومن صور ذلك الدفاع ادعاءاته التحسينية للسواد في قوله: **(سوادي فخري، سوادي لي نسب، سوادي بياض، فالمسك لوني، لون في العيون)**، وإن كنا لا نستبعد أنها لا تعدو أن تكون من الشاعر محاولات يائسة لمقاومة عقيدة المجتمع إزاء السواد، ومحاولة بائسة لتعزية النفس وتسليتها بشيء يحس هو في قرارة نفسه أنه غير مجدٍ، وإن كان يحاول التجمل والتظاهر بعدم الاكتراث، وهذا الإحساس بعدم الجدوى هو نتيجة لتجذر عقدة الشعور بالنقص عند الشاعر - بسبب سواد لونه- التي ولدتها عقيدة المجتمع الصارمة.

المحور الثاني: مع القبيلة

أ. تأزم ثنائي: الذات/القبيلة

سبقت إشارات متفرقة عن صورٍ من علاقة عنترة بقومه، وهنا سنقف بشيء من التركيز على قلق وتأزم ثنائي الذات/القبيلة في شعر عنترة، ونوجز ذلك في النقاط الآتية:

1. من الملحوظ أن عنترة بن شداد - في شعره - كثيراً ما يضع قبيلته أو قومه في ناحية، ويضع نفسه في ناحية أخرى، فهو يحس أنه مختلف عنهم لوناً وقيمة، كما أنه متفرد في بطولته وفي أخلاقه، يقول[1]:

يعيبونَ لوني بالسواد و إنما فعالهم بالخبث أسودُ من جلدي

ويقول[2]:

سوادي بياض حين تبدو شمائلي وفعلي على الأنساب يزهو ويفخر

2. نحس بجلاء أن موقفهم السلبي السابق منه لم يُمح من ذاكرته، فهو وإن أعطى للقبيلة نصرته، وبذل في سبيلها جهده، ومستعد أن يبذل مهجته؛ لكنه يفعل ذلك لنفسه ابتداء ليحقق ذاته أولاً، وهو يحس من أبناء القبيلة الأمر نفسه، فهم لا يعيرونه اهتماما في حال

---

[1]. شرح ديوانه: 59.

[2]. السابق:79.

السلم إلا ريثما تنجلي عنهم غماء الحرب، وفور ما تضع أوزارها يتنكرون له، ويزورن عنه، يقول عنهم[1]: **يُنادُونني في السِّلم يا بْنَ زَبيبةٍ وعندَ صدامِ الخيلِ يا ابنَ الأطايبِ**

ويقول عنهم أيضاً[2]:

يُنادُوني وَخيلُ الموْت تجري: محلُّك لا يُعادلهُ محلُّ
وقد أمسوا يعيبوني بأمي وَلوني كلما عَقدوا وحَلُّوا

ويقول أيضاً[3]:

أذكر قومي ظلمهم لي وبغيهم وقلةَ إنصافي على القربِ والبعدِ
بَنَيْتُ لهمْ بالسَّيفِ مجْداً مُشيّداً فلّما تناهى مجدهمْ هدموا مجدي
فواذلّ جير اني إذا غبتُ عنهمُ وطالَ المدَى ماذا يلاقونَ من بَعدي

3. لذلك نجد شعوره بالتوحد معها والاندماج فيهم لم يكن ليرتقي إلى مستوى الشاعر/الفارس الجاهلي الذي كان لا يجد نفسه إلا في القبيلة فهو يتماهى معها، ويراها كلاً له وهو جزء منها، وللسبب نفسه يغلب في شعر عنترة ضمير المفرد المتكلم (أنا)على حساب الضمير الجمعي(نحن – إنا) نحو[4]:

ألاَ أبلغْ بني العشراءِ عني علانيةً فقد ذهب السرارُ
قتلْتُ سرَاتكمْ وخَسلتُ مِنْكمْ خسيلاً مثلَ ما خُسل الوبار[5]

فالضمائر في: (عني، قتلتُ، خسلتُ) للمفرد المتكلم، بالرغم من أن ما جرى من حرب بني العشراء وقتل زعمائهم لم يكن فيه متفرداً، بل كان مع قومه، لكنه أغفلهم في حديثه، كأن لم يكونوا، وكأنهم لا يستحقون الذكر.

ويظل فردا في شخصه وفي فعله، يقول[6]:

---

[1]. السابق: 35.

[2]. السابق: 116.

[3]. السابق:59.

[4]. السابق: 77- 78.

[5]- الخسيل: الرذيل من كل شيء، لسان العرب: 205/11: 177/4. الوبار: دابة صغيرة لا تغادر بيتها من الخوف. ووبر الرجل في منزله توبيرا، إذا أقام في منزله حينا لا يبرح، مجمل اللغة: 904/2. أي: أي أبقيت منكم بقية رذالاً، ينظر: تهذيب اللغة. وقيل الخسل هنا النفي والإخراج، أي: أخرجتكم ونفيتكم، وأخرجت منكم حتى الأراذل الذين يختبئون ولا يخرجون عادة لجبنهم.

[6]. شرح ديوانه: 80.

أطْوي فيافي الفلاَ واللَّيلُ معْتكِرُ و أقطعُ البيدَ والرَّمضاءُ تَستعرُ

بل كأنه يعيش في الحياة وحيدا متفردا[1]:

ولا أرى مؤنِساً غيرَ الحسام وإنْ قلَّ الأَعادِي غدَاةَ الرَّوع أَوْ كَثُروا

فَحاذِري يا سباعَ البَرِّ منْ رجلٍ إذا انتضى سيفهُ لا ينفعُ الحذرُ

ور افِقيني تَريْ هاماً مفلَّقةً والطيْرَ عاكِفةً تُمسي وتَبْتكرُ

حتى عندما يصنع للقبيلة ما يصنعه لا يرى إلا شخصه ولا يذكر إلا نفسه؛ لأن نفسه وتحقيق ذاته هي دافعه الأول ومحركه الرئيس، لا حبه القبيلة والشفقة عليها[2]:

سلوا عني الرَّبيعَ وقد أتاني بجُردِ الخيل منْ سادات بدر

أسرتُ سراتهُم ورجعتُ عنهم وقد فرقتهم في كل قطرِ

وها أنا قدْ برزتُ اليومَ أشفي فُؤادي منكم وغَليلَ صدْري

4. ثنائية: الذكر/الغياب: ذكر اسمه وغياب القبيلة.

مما يلفت الانتباه إكثار عنترة من الحديث عن نفسه وذكر اسمه في شعره، ولا أظن أن من شعراء العربية قديمهم وحديثهم من تردد ذكر اسمه في شعره بما يقارب عنترة أو يدانيه، فهو يلح في ذكر اسمه في قصائده ويصورها وكأنها محور الأحداث أو هي الحاسمة لها، في حين يأتي ذكر القبيلة أحياناً باهتاً لا صريحاً، ويصور موقفها دوناً وهي تستجديه الإقدام، فلله در الحرب ما أعظم فضلها على عنترة!! إذ كل شيء يتغير مع البطولة، اسمعه في قصيدة واحدة هي معلقته يقول[3]:

لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمم

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

{يدعون عنتر والسيوف كأنها إيماض برق في السحاب الركم

يدعون عنتر والدماء سواكب تجري بفياض الدماء وتنهمي

يدعون عنتر والفوارس في الوغى في حومة تحت العجاج الأقتم

يدعون عنتر والرماح تنوشني عادات قومي في الزمان الأقدم[4]}

---

[1]. السابق: 80.

[2]. السابق: 86.

[3]. السابق:181- 184.

[4]. الأبيات التي بين المعقوفين في هامش ديوانه: 182.

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد التاسع عشر- رجب 1447هـ- ديسمبر 2025م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

ولقد شفى نفسي و أبرأ سقمها　　　قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

(يدعون عنتر والسيوف كأنها　　　برق تلألأ في سحاب مظلم

يدعون عنتر والدروع كأنها　　　حدق الضفادع في غدير نجم

يدعون عنتر والنبال كأنها　　　طش الجراد على المنادح حوم

يدعون عنتر والوغى ترمي بهم　　　والموت نحو لواء آل محلم[(1)])

تكرار الشاعر في الأبيات السابقة لاسمه "يدعون عنترة، ويك عنترة" له دلالة نفسية تعبر عن عقدة الشعور بالنقص. وتتجلى ملامح هذه العقدة صارخة جلية في قوله:" ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها" ففي لفظتي: (شفى، وأبرأ) دلالتان مهمتان على الأزمة التي يعانيها الشاعر، وفيها تختصم نفسه الأبية مع واقعه الذليل. لقد كان يعاني من: احتقار الناس له، ومن شعورٍ بالذل بما يشبه المرض؛ لذلك نراه يشعر بالشفاء والبرء من السقم عندما يسمع هتاف المقاتلين يدعونه باسمه يستنجدون به. هذا الهتاف لا يعلن التساوي بينه وبين قومه بل تفوقه عليهم، وهو أجمل نداء تسمعه أذناه[(2)]؛ فلا غرو أن يكون للحرب وللفروسية في نفسه مكانة وامتنان؛ فلولاهما ما بزغ نجمه ولا سمع مثل هذا النداء، ولا لقي ذاك الشفاء ولا ذلك البرء، ولا أحس بتلك النشوة وذلك التفوق على من كان يحتقره ويزدريه. وها هو يقول لهم متهكماً[(3)]:

بني عبس سودوا في القبائل و افخروا　　　بعبد له فوق السماكين منبر

حتى عندما يكون ذكر اسمه كسراً لأفق التوقع ومخالفاً للمألوف لا يرى بأساً بذلك[(4)]:

لو لم تكُنْ يا قيسُ غرَّك جاهلٌ　　　ما سُقتَ نحو دِيار عنْترَ جَحْفلا

المتوقع والمألوف في هذا الاستعمال أن يقول: نحو ديارنا، بالجمع أي هو وقبيلته، لكن تضخم الذات كان سبب غياب أو تغييب الجماعة، واختزالهم على نحو جلي في ذاته؛ لعدم فاعليتهم وقلة تأثيرهم، وكأنه هو الفاعل الوحيد فيهم، وصاحب الحضور الحقيقي، والمالك الفعلي للديار، والبقية حضورهم كالغياب، وديارهم وما يملكون بغياب عنترة هباء زائل.

ب. تلازم ثنائي: التواضع/التسامي

---

(1). الأبيات التي بين القوسين ليست في ديوانه بتحقيق مجيد طراد، ووردت في شرح المعلقات التسع:253.

(2). الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية: 160.

(3). شرح ديوانه: 80.

(4). السابق:113.

موقف قوم عنترة منه ومعه في مطلع حياته كان موقفاً واحداً مضطرداً اتسم بالظلم ونظرة الاحتقار والعبودية، وحين برزت فروسيته وانتزع حريته اتسم موقف قومه منه بالتأزم والتأرجح والقلق كما سلف قريباً، لذا فاستغاثة الجمع به وحاجتهم إلى شجاعته، وحث الفرسان إياه على الإقدام، وتعليق أملهم بالنصر عليه الذي رأيناه قبل قليل كان يمكن أن يبعث في نفسه - إضافة إلى ما سبق ذكره- قدراً كبيراً من التشفي والسخرية ممن يسخر منه أو كان في الأمس يحتقره ويستعبده، لكننا في مواطن كثيرة لا نلحظ ذلك من عنترة، بل نجد منه تسامياً معهم وتواضعاً لهم؛ ولا شك أن هناك أسباباً وراء ذلك، لا سيما مع توافر الدوافع، من خلال تتبع شعر عنترة للبحث عن الأسباب التي كفت عنترة عن الانتقام من قومه والتشفي والسخرية منهم، ودفعته لامتصاص سوئهم السابق والمتجدد معه، والصفح عنهم بل والتواضع لهم، فكان من أبرز تلك الأسباب:

1- دافع أخلاقي اتسم به عنترة، تمثل في: كرم نفسه، وترفعها ورفعتها، فالقارئ شعر عنترة يلمس فيه: سمو نفس، وتسامياً عن الدنايا، ويجد فيه نبرة أخلاقية عالية، تصدر عن نفسية سموحة سامية متواضعة على رغم كل ما عاناه من الأقربين قبل الأبعدين، ذانك: السمو المتسامي، والتواضع الجم أخلاق فيه أصيل عن: سجية، ووعي، دون تكلف؛ لذا نجده يفلسف لرؤيته الأخلاقية ويدافع عنها، اقرأ قوله[1]:

لا يحْمِلُ الحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ ولا ينالُ العلى من طبعهُ الغضبُ

ومن يكنْ عبد قومٍ لا يخالفهمْ إذا جفوهُ ويسترضي إذا عتبوا

قدْ كُنْتُ فِيما مَضَى أَرْعَى جِمَالَهُمُ واليَوْمَ أَحْمي حِمَاهُمْ كلَّما نُكِبُوا

لله دَرُّ بَني عَبْسٍ لَقَدْ نَسلُوا منَ الأكارِمِ ما لم تنسلِ العربُ

نقرأ في هذه الأبيات نفساً سموحة لا تحمل الغل، وقلباً صفوحاً لا يفكر في الانتقام، وما يلفت أكثر هو ذلك التواضع الجم مع القبيلة، إنه تواضع لا يخالطه استنكاف أو غضاضة، ولا يشوبه شيء من الترفع والتعالي بالرغم من توافر مقوماته ودوافعه، نجد هذا التواضع أيضاً في قوله[2]:

أنا العبدُ الذي خُبِّرْتِ عنه رَعيْتُ جِمالَ قوْمي منْ فِطامي

---

[1]. السابق:25.

[2]. السابق:188.

أروحُ من الصَّباح الى مغيبٍ وأرقُدُ بينَ أطْنابِ الخِيامِ

ويختلط هذا التواضع لقومه بالحمية والأنفة لهم، والاعتراف لهم بالفضل دون أن يجد غضاضة، كما في قوله[1]:

سكتُّ فَغَرَّ أعْدَائي السُّكوتُ وَظنُّوني لأَهلي قَدْ نسِيتُ

وكيفَ أنامُ عنْ ساداتِ قومٍ أنا في فَضْلِ نِعْمتِهِمْ ربيت

والأمر نفسه، بل على نحو أكثر مبالغة في إظهار الامتنان التواضع لهم في قوله[2]:

ولاَ أَسلو وَلا أشفي الأَعادي فساداتي لهمْ فَخْرٌوفضلُ

أناسٌ أنزلونا في مكانٍ من العلْياءِ فوقَ النَّجم يعلو

إذا جارُوا عَدَلنا في هَواهُمْ وانْ عـزُّوا لعزتهم نذلُّ

وأرضى بالإهانة معَ أناسٍ أراعيهمْ ولو قتلي أحلُّوا

ما سبق ذكره من سمو في تعامل الشاعر مع قومه: صفحاً، وتسامياً، وتواضعاً ذهبنا إلى أنه نابع من: سجية، ووعي، وأن من أسبابه: كرم أخلاق الشاعر كما يوحي به شعره.

2- وصرح لنا شعره أن ثمة أمراً آخر عضد في نفسه قيم التسامي مع قومه والتواضع لهم، ومد مساحة كرم أخلاقه معهم وشد عضدها وقوى أوتادها المغروسة في نفسه، ذلك هو حبه لعبلة، وفي ذلك يقول[3]:

أحبُّ بني عبس ولو هدروا دَمي لأجلك يا بِنْت السراة الأكارم

وأحمل ثقل الضيم والضيم جائر وأُظهرُ أني ظالمٌ و ابْن ظالم

إن حبه لعبلة حب عجيب، حب لا يقف له شيء، ولا يتعاظمه ذنب، ولا تنقصه خطيئة إن جاز التعبير، إنه حب صوفي يُستلَذ معه الألم، اعتدنا أن نجده مع خلاصة العشاق وأئمة العباد، حب قائم مستمر مع الحياة وبعدها، مع عوامل البقاء والفناء، وأسباب الإنصاف والإجحاف؛ فكيف لا يكون مثل هذا الحب دافعاً للتعامل السامي وباعثاً على التواضع مع قومه؟!!

هذا الحب جعله يحتمل لقومه زلاتهم، ويغتفر لهم أخطاءهم في حقه، ويتظاهر لهم بالتواضع ومعهم بالتسامح ولين الجانب. وهذا الحب وما ينتج عنه ليس غريباً، وعنترة فيه ليس ببدع: لا

---

[1]. السابق:38.

[2]. السابق: 115- 116.

[3]. السابق: 190.

هو فيه مقلد ولا هو فيه إمام، وهذا الأمر أكثر ما صرح بكونه سبب تسامحه مع قومه والصفح عنهم وتواضعه لهم، ولولا الرغبة في إحسان الظن الشاعر، والتوجس من ظلمه، وخوفنا من زعم انتفاء القيم ومعاني الخير في النفوس، وخشية مجافاة المألوف لعنترة في النفوس وصدم المتلقي؛ لقلنا إن هذا الأمر (حبه لعبلة) هو السبب الوحيد فيما نجده من سمو الشاعر مع قومه، وكرم تعامله معهم، وتواضعه لهم؛ لأنا نجد في شعره إشارات بل تصريحات متكررة تدل على ذلك، كما في قوله[1]:

ولولا حبُّ عبلة ِفي فؤادي مقيمٌ ما رعيتُ لهم جمالا
عتبتُ الدَّهر كيفَ يذلُّ مثلي ولي عزمٌ أقدُّ به الجبالا

وقوله[2]:

عذابُكِ يا ابْنة ِالسَّاداتِ سَهْلُ وجور أبيك إنصافٌ وعدل
فَجوروا واطلُبوا قَتلي وظُلمي وتعذيبي فإني لاّ أمل
ولاَ أَسلو وَلا أشفي الأَعادي فساداتي لهمْ فَخْرٌ وفضلُ
إذا جارُوا عَدَلنا في هَواهُمْ وانْ عـزُّوا لعزتهم نذلُّ

إذاً إنه الغرام يذل أنوف الصيد، ويجعل من الأحرار عبيدا.

أيضاً يوحي بشيء من ذلك قوله[3]:

سأَحْلُم عنْ قومي ولو سَفكوا دمي وأجرعُ فيكِ الصَّبرَ دونَ الملا وحدي

وقوله[4]:

وَلَولا الهَوى مَا ذلَّ مِثلي لِمثلِهم ولا خضَعَتْ أُسْدُ الفَلا للثَعَالبِ

المحور الثالث: مع الفروسية

أ. تلازم ثنائي: الفروسية/الشعر

الفروسية من أهم الأقطاب التي دارت حولها مفردات الحياة وموضوعات الأدب في العصر الجاهلي؛ لذلك يتعذر على دارس الحياة العربية قبل الإسلام وأدبها تجاوز ظاهرة الفروسية والاستغناء عن تحليلها.

---

[1]. السابق:112.
[2]. السابق:115.
[3]. السابق:62.
[4]. السابق:25.

وقد تلازمت الفروسية والشعر: منتِجاً فكثير هم الشعراء الفرسان، وموضوعاً فجل موضوعات الشعر الجاهلي تبدأ منها أو تمر بها أو تنتهي إليها، مثل: الغزل والفخر والهجاء والرثاء والنجدة[1].

والفروسية صفة تنطبق على شجاع القلب وإن لم يمتط فرسا. ولا يقال للجبان فارس وإن امتطى أشرف الخيول وامتلك أقوى السيوف، على حد قول البحتري[2]:

وما السيفُ إلا بزُّغادٍ لزينةٍ إذا لم يكن أمضى من السيف حاملُهْ

وقول أبي الطيب[3]:

إن السيوف مع الذين قلوبُهم كقلوبهنّ إذا التقى الجمْعان

تلْقى الحسامَ على جَراءَةِ حدِّه مثل الجبان بكف كل جبان

ثم تطورت دلالة الفروسية في حاضنتي الحرب والسلم، فشملت صاحب الخلق السامي وإن أمضى حياته راجلا.

وقد اندغمت دلالتا الفارس والفتى في نسق، وحصل التماهي بين الفروسية والفتوة، إذ كانت الفروسية قد تماهت مع القيم النبيلة والأخلاق الجليلة، وأصبح الرجل ذو البأس والمروءة فارسا وإن افتقد الفرس[4].

وبرزت كثير من الأعلام التي جمعت إلى الفروسية والفتوة الشعر، فشكلت للقبيلة رمزي (الفروسية/الشعر) معاً، فكان أن حازت إلى جانب ذينك زعامة وسيادة، كما هو شأن المهلهل التغلبي وعمرو بن كلثوم وزيد الخيل وعامر بن الطفيل.

وعنترة من الذين جمعوا إلى الشعر الفروسية والفتوة، وأظهروا بطولة نادرة في حروبهم ضد خصومهم وأقرانهم، وكان أهم فارس/شاعر احتفظت به ذاكرة العرب في أجيالهم المتعاقبة، وتجاوزهم إلى كثير من الآداب والثقافات العالمية[5].

ب. ثنائي: الفروسية/العبودية

تأزم وتلازم

---

[1]. ينظر: قراءة في أدب العصر الجاهلي: 294.

(2). ديوان البحتري: 1612.

[3]. ديوان المتنبي: 1193/2.

[4]. العصر الجاهلي: 351.

[5]. ينظر: قراءة في أدب العصر الجاهلي: 294.

عنترة أشهر فرسان العرب في الجاهلية. ولد لأمةٍ حبشية سوداء تسمى زبيبة، فورث منها العبودية وسواد اللون، كما سلف. وإن كان اللون الأسود بعقدته ملازماً له كحسيته منذ أن أدرك إلى أن مات، فالعبودية لازمته إلى أن حررته منها فروسيته، حين قال له سيده/أبوه: كر وأنت حر[1]، غير أن أثرها النفسي ظل ملازماً له لم يستطع أن يتحرر منه؛ بسبب عقيدة المجتمع الطاغية إزاء الأسود الهجين، بالرغم من بروز فروسيته وتفوقها، وشيوع شهرته.

يجد قارئ ديوان عنترة تلازماً كبيراً في تصريحه بعبوديته وافتخاره بفروسيته؛ على ما بين الأمرين - في الأصل- من مفارقة وتنافر. سنقف مع عشرة شواهد من شعره في ذلك، سبعة منها جاءت على نمط واحد، بدأت بجملة اسمية مكتملة البناء النحوي، محدودة الأجزاء، صريحة الدلالة اللغوية (**أنا العبْدُ**..)، لكنها بالرغم من ذلك تبعث في المتلقي حيرة من دافع هذا الاعتراف: أهو ترجمة لشعورٍ بالدون عميقٍ مستكِنّ في نفسه، ملازمٍ لأنفاسه يجد الشاعر ارتياحاً بالبوح به؟! ولا نعدم في هذه الشواهد ما يوحي بذلك، نحو قوله: "**إنْ كُنْتُ في عددِ العبيدِ...**"، قوله: "**أنا العبدُ ... رَعيْتُ جِمالَ قوْمي منْ فِطامي**". أم هو بقصد السخرية من حاسديه والتهكم بمنتقصيه؟! لا سيما وهو بعدها كلها يذكر مفاخره وإنجازاته التي عجز السادة الأحرار عن تحقيق شيء منها، وهو يسرد ذلك على نحو كبير من المبالغة؛ ولأنه لا يسر أحداً أن يكون عبداً، وتوجيه الخطاب بالعبودية لشخص ما غير مستساغ وثقيل حتى على نفس العبد الحقيقي، فكيف يصرح بذلك عن نفسه حر ذو نفس أبية وهمة عالية مثل عنترة؟ وأي الأمرين كان فقد أعقب هذا الاعتراف الصريح الجريء في كل شاهد من الشواهد السبعة صوراً كثيرة من الفخر بفروسيته وشجاعته، بعضها قد يستفز القارئ بمبالغته، لا سيما بعد اعترافه بعبوديته، ففي الشاهد الأول[2]:

أنا العبْدُ الّذي خُبِّرْتَ عَنْه يلاقي في الكريهةِ ألفَ حرّ
خلقتُ من الحديد أشدَّ قلباً فكيفَ أخافُ من بيضٍ وسمرِ
و أبطُشُ بالكَميّ ولا أُبالي وأعلو للسِّماكِ بكلّ فخر
وَيُبصرُني الشُّجاعُ يَفِرُّ مني ويرعشُ ظهرهُ مني ويسَري

---

[1]. ينظر: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب: 545.

[2]. شرح ديوانه: 86.

يقول: إنه عبد (يلاقي ألف حر، وقلبه أشد من الحديد، ويعلو للسماك). ومما يلفت الانتباه في هذا الشاهد الغلبة المطلقة للفعل المضارع، فمن أفعاله الأحد عشر تسعة منها مضارعة، وفي ذلك زيادة في مبالغته بدعوى أن صور الفروسية والفخر التي ينسبها لنفسه ليست آنية ولا منقطعة، بل متجددة متكررة. والمقابلة في البيت الأول: (أنا العبد.. ألاقي ألف حر) جمعت إلى الفخر المبالغ فيه بفروسيته تهكماً كبيراً بالأحرار المنتقصين منه.

وفي الشاهد الثاني يقول[1]:

أنا العَبْدُ الذي يلْقى المَنايا غدَاة الرَّوعِ لاَ يخْشى المحاقا
أكرُّعلى الفوارس يوم حربٍ ولا أخشى المهنَّدةَ الرِّقاقا
وتطربني سيوفُ الهند حتى أهيمَ إلى مَضارِبِها اشْتياقا
وكاساتُ الأَسنَّةِ لي شرابٌ ألذُّ به اصطباحاً واغتباقا
وأطْرافُ القَنا الخَطّيِّ نَقْلي[2] وريحاني إذا المضمارُضاقا

في هذا الشاهد بعد تصريحه بعبوديته (أنا العبد) ذكر صوراً كثيرة من صور الفخر بفروسيته، لكن ليس ثمة مبالغة محيلة تستفز خيال المتلقي، إلا في الصورة في قوله "**وكاساتُ الأَسنَّةِ لي شرابٌ ألذُّ به..**" فهي حسية البناء، لكنها ذهنية تستعصي على الإدراك. ما يلفت في هذا الشاهد أن الشاعر في سبيل مبالغته بإبراز فروسيته وملازمته للحرب جعل مظاهر الفروسية، ومستلزمات القتال من جملة المتع الحسية التي تهواها نفسه، كما تهوى نفوس القاعدين لذائذ الحياة ومتعها.

الشواهد الخمسة الأخرى هي قوله[3]:

أنا العَبـدُ الذي بدِيارعبْسٍ رَبيتُ بعزَّةِ النَّفسِ الأَبيّه
سلوا النُّعمانَ عنّي يوْم جاءَتْ فوارس عصبة النار الحميهْ
أقمت بصارمي سـوق المنايا ونلتُ بذابلي الرُّتَبَ العليَّه

وقوله[4]:

---

[1]. السابق:104.

[2]. النقل: مَا (يُتَنَقَّلُ) بِهِ عَلَى الشَّرَابِ من فواكه وكوامخ وَغَيرهَا وَمَا يتفكه بِهِ من جوز ولوز وبندق وَنَحْوهَا. المعجم الوسيط: 949/2.

[3]. شرح ديوانه: 216- 217.

[4]. السابق:188.

(أنا العبدُ الذي خُبّرْتِ عنه) رَعيْتُ جِمالَ قوْمي منْ فِطامي
ولي قلْبٌ أشَدُّ منَ الرّواسي وذكري مثلُ عرْفِ المسْكِ نام
ومنْ عَجبي أَصيدُ الأُسْد قَهْراً و أَفترَسُ الضَّواري كالهوَام

وقوله[1]:

(أنا العبْدُ الَّذي خُبّرْتَ عَنْهُ) وقد عاينْتَني فدعِ السَّماعا
ولو أرْسلْتُ رُمحي معْ جَبانٍ لكانَ بهيْبتي يلْقى السِّباعا
ملأْتُ الأَرضْ خوْفاً منْ حُسامِي وخصمي لم يجدْ فيها اتساعا
إذا الأَبْطالُ فَرَّت خوْفَ بأْسي ترى الأقطار باعاً أو ذراعا

وقوله[2]:

أنا العبْدُ الذي سَعْدي وجَدّي يفوق على السها في الارتفاع
وفي كَفيّ صقيلُ المتن عَضْبٌ يداوي الرأس من ألم الصداع
ورُمحي السَّمْهريُّ لهُ سِنانٌ يَلـوحُ كمثْـل نارٍ في يفاع
وما مثلي جزوع في لظاها ولست مقصراً إن جاء داعي

وقوله[3]:

و أنا الأسـود والعبـد الذي يقْصِدُ الخيلَ إذا النَّقعُ ارتَفَعْ
نسبتي سيفي ورُمحي وهما يؤنساني كلما اشتدّ الفزعْ

هذه الشواهد نجدها تنحو المنحى نفسه تقريباً الذي وجدناه في الشاهدين الأول والثاني: تصريحاً بعبوديته، ثم فخراً بشجاعته، على نحو متلازم.

ومما يثير الانتباه، ويسترعي الاهتمام، بل ويدعو إلى الاستغراب في الشواهد السبعة السابقة طبيعة البناء اللفظي/النحوي للتصريح بالعبودية، فقد اتخذ سمتاً بنائياً واحداً تقريباً (أنا العبد الذي..): بدأ بضمير المتكلم (أنا)، والضمير أعرف المعارف النحوية، وضمير المتكلم أولاها، وضمير المفرد أشدها تحديداً وأبعدها عن الاشتراك، وكان خبره (العبد) معرفاً بـ(ال) ذات العهد الحضوري، موصوفاً بالموصول (الذي)، وفي ثلاثة من الشواهد جاءت جملة الصلة قوله (خبرت عنه) وكأن (ال) العهدية في كلمة (العبد) حينئذٍ جمعت العهدين:

---

[1]. السابق: 90.

[2]. السابق: 96.

[3]. هذان البيتان ليسا في ديوانه الذي اعتمدته، وإنما في ديوانه بعناية وشرح حمدو طماس:131

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد التاسع عشر- رجب 1447هـ- ديسمبر 2025م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

الحضوري، والذكري. فلم كل هذا التحديد والتأكيد في تصريحه بعبوديته، حتى لقد صاغ ذلك على نحو ما يصوغ من يفتخر بالشيء ويتعد به؟! ولم اقترن ذلك بفخره بفروسيته وشجاعته؟

يغلب على الظن أن تلازم ذكره لعبوديته مع الفخر بشجاعته وفروسيته ناتج عن تأزم في نفسه، وشعور بالنقص يحاول تغطيته. وأي تأزم أغلظ وأعمق من هذا التلازم الحاد الجارف الجاف للونه - وهو أحط ما فيه مما يعاب به- مع فروسيته وشجاعته وهما أشهر ما حازه، وأخص ما اختص به، وكأنه وهو يصرح بعبوديته يقول لحاسديه: هذا ما تذكرونه وتعيبوني به من عبوديتي، وأنا أجاريكم في الإقرار به، لكن بالمقابل هناك شيء عظيم أتحلى به، يغطي كل عيب، وهو فروسيتي وشجاعتي، أذكركم بها لأنكم تتجاهلون ذلك وتغمضون عنه أعينكم حسداً وظلماً.

لعل ما يؤيد ذلك التأزم الذي نقرؤه في طبيعة هذا التلازم ما يخبرنا به هو نفسه في قوله[1]:

إنْ كُنْتُ في عددِ العبيدِ فَهمَّتي فوق الثريا والسماكِ الأعزل

وبذابلي ومهندي نلتُ العلاَ لا بالقرابة والعديدِ الأَجزل

وثمة تلازم لذلك التأزم، على نحو عدل فيه الشاعر عن ضمير التكلم والتصريح الحضوري - الذي رأيناه في الشواهد السابقة- إلى ضمير الغائب، كما في قوله[2]:

بني عبس سُودوا في القبائل و افخروا بعبد له فوق السماكين منبر

ويجتمع الأمران: بدءاً بضمير الغياب، ثم يلتفت إلى الحضور في قوله[3]:

وما رَدَّ الأَعِنَّةَ غيرُ عبْدٍ ونارُالحربِ تشتعلُ اشتعالاً

بطعن ترعدُ الأبطالُ منهُ لشدته فتجتنبُ القتالا

صدمتُ الجَيْشَ حتى كَلَّ مُهري وعدتُ فما وجدتُ لهم ظلالاَ

وراحتْ خيلهمْ من وجه سيفي خِفافاً بعْد ما كانتْ ثقالا

تدوسُ على الفوارس وهْيَ تعدو وقد أخذَتْ جماجمَهُمْ نعالا

---

[1]. شرح ديوانه: 134.

[2]. السابق:79.

[3]. السابق:112.

في هذين الشاهدين(الأخيرين) جاءت كلمة (عبد) نكرة، وبصيغة توحي بالجهالة بهذا العبد، وبدونيته وحقارته لولا الأوصاف التالية التي ذكرها له، ثم استطرد بالفخر بنفسه، لا سيما في الشاهد الأخير.

ج. ثنائي: الفروسية/الغزل

= القوة/الضعف

مما يلحظ أن الفروسية الجاهلية بعثت في نفوس الشعراء الفرسان التسامي بالعشق، والإحساس بالمرأة الكاملة، فهم يتغنون دائماً بفروسيتهم وبمجموعة من الفضائل والخصال الحميدة تقرباً إليها وسعياً لنيل رضاها. وهذا كثير في شعر عنترة، بل لعله أكثر الشعراء الفرسان في الجاهلية حظاً من ذينك الأمرين في شعره: التسامي، والإحساس بالمرأة الكاملة[1]، فتغزله بها ينبثق من هذين الأمرين أكثر من انبعاثه من نظرة حسية؛ لذا لا نجد غزله يأتي على شكل مغامرات غرامية، وإنما ذا صلة بفخره بفروسيته ليشكلا معاً ثنائياً متلازماً في شعره وحياته. وإن كان ليس من الصعوبة أن نجد هذا الثنائي عند أشخاص آخرين غير عنترة؛ لكن ثمة فرق عنهم نجده في شعر عنترة وحياته؛ فيكاد المرء منا وهو يقرأ حياة عنترة من خلال شعره يختزلها في أمرين ليس بينهما في عالم اللغة والمعاجم نسب أو قرابة، ولا تضاد أو تقابل، لكنهما معا يمتزجان ليشكلا حياته، ذانك هما: (الفروسية، وحب عبلة والتغزل بها)، وهو نفسه يوجز لنا ذلك في قوله[2]:

خليليَّ أمسى حبُّ عبلة قاتلي وبأْسِي شديدٌ والحُسامُ مُهَنَّدُ

انظر اجتماع هذين الأمرين في بيت واحد، متصلين بالواو، وكأنهما يختزلان حياته، ويمثلان حالتي الضعف والقوة فيها، ولعل عنترة في بيته هذا كان إمام جميل بن معمر في قوله[3]:

ألا أيها النُّوام ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

لكن فروسية عنترة الملازمة لحياته أبت إلا أن تتكامل مع حالة ضعفه، ولم تترك للحظات الضعف/الحب والغزل أن تستبد بزوايا نفسه وأقطار حياته كلها، كما هو شأن جميل وأضرابه من العشاق غير الفرسان.

---

(1). ينظر: قراءة في أدب العصر الجاهلي: 295.

(2). شرح ديوانه: 54.

(3). ديوان جميل:25.

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد التاسع عشر- رجب 1447هـ- ديسمبر 2025م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

واقرأ اجتماع ثنائي: قوة الفروسية، وتغزله بمحبوبته وبروز ضعفه أمامها بصورة رائعة في قوله[1]:

يا عبلَ يُهْنِئُكِ ما يأْتيكِ منْ نِعَمٍ إذا رماني على أعدائكِ القدر
يا مَنْ رَمتْ مهْجتي من نَبْل مُقلتِها بأسهمٍ قاتلاتٍ برؤُها عسرُ
نعيمُ وصْلِكِ جنَّاتٌ مزَخْرفةٌ ونارُ هجْركِ لا تُبقي ولا تَذَرُ
إنْ عِشْتُ فهيَ التي ما عِشْتُ مالكتي وإنْ أمتْ فالليالي شأنها العبر

على أن في النفس شيئاً من البيت الثالث لما فيه من أثر إسلامي واضح، وتأثر بالنص القرآني. إذاً فالفروسية، وحب عبلة ثنائي شكَّل حياة عنترة، ووجَّهها تلك الوجهة التي عاشها حتى النهاية: الفروسية حققت له ذاته، وبواسطتها انتزع حريته، وفرض مكانته على مجتمع ليس من السهولة أن يتقبل عبداً أسود مثله إلا للرعي والخدمة. فالفروسية تمثل في حياة عنترة جانب القوة، وحب عبلة يمثل في حياته جانب الضعف الذي يعدل شعوره الطاغي بالفروسية، وجعله يحس بالضعف ويدركه، وحمله على أن يذل لقومه ويحتمل ظلمهم وأذاهم كما سلف الذكر، اسمع قوله مخاطباً عبلة[2]:

يا نازلين على الحِمَى ودِيارِهِ هَلاَّ رأيتُمْ في الدِّيار تَقَلْقُلي
قد طال عزُّكم وذُلِّي في الهوَى ومن العَجائبِ عزُّكم وتذَلُّلي

وقوله في معلقته مخاطباً إياها[3]:

إن تغدفي دوني القناع فإنني طب بأخذ الفارس المستلئم

فهناك قناع تتستر به عبلة من نظرات ابن عمها، وهناك قناع – درع – يتترس به الفارس من سيف عنترة، وعنترة قادر على تمزيق الفارس ودرعه، وليس قادراً على نزع قناع ابنة عمه عبلة. فهو على رغم فخره الشديد بقوته وفروسيته، وشعوره الطاغي بالقوة الفائقة، نجده يحس بضعف شديد أمام عبلة، ونلقى من ذلك صوراً كثيرة متعددة في شعره، منها غير ما سبق[4]:

ولولا الهوى ما ذلَّ مثلي لمثلهم ولا خَضعتْ أُسدُ الفَلا للثَّعالبِ

---

(1).شرح ديوانه: 80.
(2). السابق: 135.
(3). السابق:166. أغْدَفت المرأةُ قناعها: أرسلته على وجهها.
(4). السابق: 35.

وقوله[1]:

يا شأس أجرني من غرام قاتل أبدًا أزيد به غراما مسعرا
يا شأس لولا أن سلطان الهوى ماضي العزيمة ما تملك عنترا

وقوله[2]:

وها أنا ميتٌ إن لم يعُني عَلَى أسر الهوى الصَّبْرُ الجَميل

وقوله[3]:

أذِلُّ لعبْلةٍ منْ فَرْطِ وجْدي وأجعلها من الدُّنيا اهتمامي
وأمْتثِلُ الأَوامرَ منْ أَبيها وقد مَلكَ الهوى مني زمامي
رضيتُ بحبّها طوْعاً وكُرْهاً فهلْ أحظى بها قبلَ الحمام
ومنْ عَجبي أَصيدُ الأُسْد قَهْراً و أَفترَسُ الضَّواري كالهوَام
وتقنصني ظِبا السَّعدي وتسطو عليَّ مها الشَّرِبَّةِ والخُزام[4]

هكذا فعل الهوى في عنترة ذلك البطل الخارق القوة الذي يستغيث به الأبطال في حومات المعارك ليفرج عنهم الكرب، فلا نجده يستنكف أن يعلن ضعفه واستغاثته وتذلله أمام سلطان الهوى.

ويتميز عنترة في حديثه عن فروسيته بشعور طاغ بالقوة، ومبالغات في تصوير ذلك كما أسلفنا، ويتميز حديثه عن عبلة وغزله بها بواقعية ومصداقية في تعبيره عن شعوره العاطفي نحوها. فالغزل عنده ليس وهماً ولا رمزاً، ولا عرفاً فنياً مجرداً كما هو الحال عند كثيرين غيره: فعبلة امرأة حقيقية باسمها، وحبه إياها حقيقة تاريخية، ما يمكن أن يكون مبالغاً فيه هو تصويره تفوقها الأنثوي، وجمالها الفذ الذي يحاول شعر عنترة غرسه لها في مخيلة قارئي أشعاره، أو لعله يحس به فعلاً ويحمله لها في وجدانه فيعبر عنه شعراً يظنه واقعياً ونجده مبالغا، وكذا المبالغة في تصوير شأنه معها، كما في قوله[5]:

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

---

[1]. السابق: 72.
[2]. السابق: 117
[3]. السابق: 188
[4]. المها ج مهاة : بقر الوحش. الشربة والخزام اسما موضعين.
[5]. هذا البيت لم أجده في ديوانيه، لكنه ورد في بعض المصادر منها جمهرة أشعار العرب:376.

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد التاسع عشر- رجب 1447هـ- ديسمبر 2025م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

إذاً ثمة تأزم بين ثنائي: الفروسية/تغزله بعبلة، تأتَّى ذلك من الضدية القائمة بينهما ابتداء؛ فالفروسية قوة ونشوة وعزة، وفي العشق والتغزل ذلة واستكانة وتوسل وتودد، لكن اجتماع هذا الثنائي وتلازمه في حياة الشاعر، وما نتج معه من تأزم شكَّل في نفس عنترة وحياته ائتلافاً نفتقده في الثنائيات الأخرى، أيضاً ولَّد في نفس الشاعر وسلوكه من معاني الأخلاق أسناها، شيئاً من ذلك نجده في قوله[1]:

ولقيتُ في قُبل الهجيرِ كتيبةً فطعنتُ أوَّلَ فارسٍ أولاها[2]
وضربتُ قرني كبشها فتجدَّلا وحملتُ مهري وسطها فمضاها[3]
ما اسْتَمْتُ أُنثى نفسَها في موْطنٍ حتى أُوَفّي مَهرها مَوْلاها[4]
وأَغُضُّ طرفي ما بدَتْ لي جارَتي حتى يُواري جارتي مأْواها
إني امرؤٌ سَمْحُ الخليقةِ ماجدٌ لا أتبعُ النفسَ اللَّجوجَ هواها
ولئنْ سأَلْتَ بذاكَ عبلةَ خَبَّرَتْ أن لا أريدُ من النساءِ سواها
وأُجيبُها إمَّا دَعتْ لِعَظيمةٍ وأعينها وأكفُّ عَمَّا ساها[5]

وحين يتأزم الأمر أكثر، ويُفتقد الوئام الملازم لهذا الثنائي، فيتقاطع الحب مع مقتضيات الفروسية، فيا ترى أيهما يقدم عنترة؟ وإلى أيهما يميل؟ بمعنى آخر أيهما الأثير عنده أكثر؟ اختصر لنا المسافة، وأعفانا من جهد التكلف، وجنبنا زلات التكهن فقال[6]:

إذا لعبَ الغرامُ بكلِّ حرٍّ حَمِدْتُ تجلُّدي وشَكَرْتُ صبري
وفضلتُ البعادَ على التداني وأخفيت الهوى وكتمت سرّي
ولا أُبْقي لعذَّالي مجالاً ولا أشْفي العدُوَّ بهتْكِ سِتْري

الثنائي النقيض= قلق متأزم

ها هنا ثنائية مواقف صرح الشاعر فيها بالأمر ونقيضه. وأن نجد الشاعر في موقف ما يناقض نفسه فيطلق الدعوى ونقيضها؛ فهذا ينبئ عن قلق عميق التأزم، واضطراب ملازم، أكثر من

---

[1]. شرح ديوانه: 207- 209.
[2]. قبل الهجيرة : أولها. أول فارس.. : أول فارس من مقدمة الجيش.
[3]. كبش الكتيبة : قائدها.
[4]. ما استمت أنثى : لم أراودها عن نفسها.
[5]. ساها : ساءها.
[6]. شرح ديوانه: 82.

كونه تغير قناعات، أو تعدد وجهات النظر، فهذان ممكنان في مواطن ما، لكنهما لا يصلان حد التناقض الذي نجده هنا.

وقد اجترحت مصطلح الثنائي النقيض لمناسبته للحالة السائدة في الشواهد المسرودة هنا، وآثرته دون مصطلح الثنائية الضدية، وإن كان هذا الأخير مصطلحا مشهوراً وقد أصبح قاراً تقريباً، وبينهما تقارب دلالي في طائفة من الاستعمالات، فكلاهما: (النقيض والضد) يحمل معنى المخالفة، لكن المخالفة في النقيض أكثر، أما الضد فإنه وإن كان "ضَرْباً من الْخلاف[1]" لكنه ليس خلافاً دئماً، فقد يطلق على المثل والشبيه والند[2]، والضد أيضاً: "كفء الشيء ونظيره[3]" وثمة فروق أُخَرُ بينهما، من ذلك أن في النقض إفساد[4] لا يوجد في التضاد؛ لذا رأيت أن وصف ثنائيات مواقف عنترة الآتية بالتناقض أدق من وسمها بالتضاد.

الثنائي النقيض نجده بارزا جلياً فيما يتعلق بمواضع ثلاثة في شعر عنترة: المرأة، والخمرة، وعلاقته بقومه.

* **تناقض موقفيه فيما يتعلق بالمرأة:** المشهور عن عنترة تعلقه بعبلة، وقد سبق لذلك ذكرٌ وشواهد، ومن شواهد ذلك قوله[5]:

أذِلُّ لعبْلةٍ منْ فَرْطِ وجْدي وأجعلها من الدُّنيا اهتمامي
وأمْتثِلُ الأَوامرَ منْ أَبيها وقد مَلكَ الهوى مني زمامي

وقوله[1]:

يا عَبلَ إنَّ هَواكِ قد جازَ المَدى و أنا المعنى فيكِ من دون الورى
يا عَبلَ حبُّكِ في عِظامي مَعْ دَمي لمَّا جرت روحي بجسمي قدْ جرَى
زارَ الخيالُ خيالُ عَبلَة في الكَرى لمتّيم نشوانَ محلول العرى

وهذا هو المألوف عند غيره، والمشهور لدى كثيرين سواه، وليس في هذا من غرابة أو شذوذ، فجل الناس وكل الشعراء فيه عنترة؛ فالمرأة مذ كانت: شغلَ الرجل، ومُرَّه ومرهمه، ومن أعظم أسباب سعادته أو ألمه، وهي قضية الشاعر/الرجل الأولى، وأن يُغفِل الشاعر ذكر المرأة في

---

[1]. المخصص: 173/4.

[2]. ينظر: القاموس المحيط،: 295/1.

[3]. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) :538/3.

[4]. ينظر: كتاب العين: 50/5.

[5]. شرح ديوانه: 188.

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد التاسع عشر- رجب 1447هـ- ديسمبر 2025م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

شعره - إن حصل - أمر فيه غرابة، وباعث للتساؤل، وأغرب منه أن يرد لها ذكر لكنه يخلو من إشادة أو تغزل أو إعجاب، والأغرب من ذينك أن يذكرها مرة جاعلاً منها كل شيء في حياته، وفي أخرى يتبرأ من ذلك ويتعالى، ويستنكف منه، كما في قولي عنترة السابقين مع قوله[1]:

موتُ الفتى في عزهِ خيرٌله منْ أنْ يبيتَ أسير طرفٍ أكحل

وقوله[2]:

وقد قلتُ إنّي قد سلوتُ عَن الهوى ومَنْ كان مثلي لا يقولُ ويكْذبُ

لقدْ ذلَّ منْ أمسى على رَبْعِ منْزِلٍ ينوحُ على رسمِ الدَّياروِيندبُ

فما الداعي لتناقض موقفي الشاعر؟! وفي أيهما نصدق الشاعر؟! وأي الزعمين نعتد به؟!

* **تناقض موقفيه فيما يتعلق بالخمرة:** التغني بشرب الخمرة، وإكرام الضيوف بتقديمها لهم أمر معروف مشهور عند عرب الجاهلية، سطره كثير من شعرائها، وقل أن تخلو من ذكره مطولة، من ذلك على سبيل المثال والذكر لا الحصر:

يقول امرؤ القيس[3]:

وَأخِي إخاءٍ ، ذِي مُحافَظَةٍ ** سهل الخليقةِ ماجدِ الأصل[4]

نازعتهُ كأس الصبوحِ ولم ** أجهل مجدةَ عذرة الرجلِ[5]

ويقول الأعشى[6]:

وَصَهباء صِرْفٍ كلوْنِ الفُصُوصِ سَرِيعٍ إلى الشِّرْبِ إكْسَالُهَا

شَـرِبْتُ، إذا الرّاحُ بَعْدَ الأصِيـلِ طَابَتْ، وَرَفّعَ أطْلالُهَا

ويقول لبيد[7]:

كأنَّ الشَّمُولَ خَالَطَتْ في كَلامِهَا جنياً من الرمانِ لدناً وذابِلا

---

(1). السابق:134.

(2). شرح ديوان عنترة، عناية أمين سعيد: 15.

(3). ديوان امرئ القيس: 144.

(4). أخي إخاء: صاحب محافظ على الودّ. ذو محافظة: المدافع عن الحرمات.

(5). نازعته كأس الصبوح: نادمته على الشراب.

(6). ديوان الأعشى الكبير: 163

(7). ديوان لبيد بن ربيعة العامري: 76.

لذيذاً ومنقوفاً بصافي مخيلةٍ منَ النّاصعِ المَختومِ مِن خَمرِبابلا[1]
يُشنُّ عليها من سلافةِ بارقٍ سناً رصفاً من آخرِ الليلِ سائِلا

ويقول عمرو بن كلثوم في معلقته[2]:

ألا هبي بكأسك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا
مشعشعة كأن الحص فيها إذا ما الماء لامسها سخينا

ويقول طرفة في معلقته[3]:

متى تأتني أصبحك كأساً رويةً وإنْ كنتَ عنها ذا غِنًى فاغنَ وازْدَد

ومنهم ومثلهم عنترة يقول في معلقته[4]:

ولقد شربتُ من المدامة بعد ما رَكَدَ الهواجرُبالمشوفِ المُعْلمِ
فإذا شربتُ فإنني مُسْتَهْلِكٌ مالي وعرضي و افرٌلم يُكلم

ويقول في موطن آخر[5]:

وإخوانُ صدق صادقينَ صحبتهمْ على غارةً من مثلها الخيلُ تسرجُ
تَطوفُ عَلَيْهِمْ خَنْدَرِيسٌ مُدَامَةٌ تَرَى حَبَباً مِنْ فَوْقِها حينَ تُمزَجُ
ألا إنَّها نِعْمَ الدَّواءُ لشاربٍ أَلا فاسْقِنِيها قَبْلما أَنْتَ تَخْرُج
فنضحيْ سكارى والمدامُ مصفَّف يدارعلينا والطعامُ المطبهجُ

وفي قوله أيضاً[6]:

ولربّ شَرْبٍ قد صَبَحْتُ مدامةً ليْسوا بأَنكاس ولا أَوغال

لكنا وجدناه يناقض نفسه فيترفع عن ذلك ويتبرأ منه في قوله[7]:

ولاَ تسقني كأْسَ المدامِ فإنَّها يَضلُّ بها عقلُ الشُّجَاع وَيذهَبُ

وفي قوله[8]:

---

(1). المنقوف: الذي قُشِر واستخرج ما فيه من حبّ. والمخيلة: السحابة.
(2). شرح المعلقات السبع: 215.
(3). ديوان طرفة بن العبد: 24.
(4). شرح ديوانه: 167-169.
(5). السابق: 41- 42. المطبهج: المطبوخ.
(6). السابق: 118.
(7). شرح ديوانه، عناية أمين سعيد: 16.
(8). شرح ديوانه: 23.

فدعوني منْ شربِ كأسِ مدامِ منْ جوارٍلهنَّ ظرفٌ وطيبُ

وقوله[1]:

وإن طَرِبَ الرِّجالُ بشُرْبِ خَمْرٍ وغيبَ رشدهمْ خمرُالدنان

فَرُشْدي لا يُغيِّبُهُ مُدَامٌ ولا أُصْغي لِقَهْقَهةِ القناني

ويترفع عن متعة الأمرين السابقين معا: المرأة والخمرة، فيقول[2]:

في الخيل والخافِقاتِ السُّودِ لي شُغُلٌ ليْس الصَّبابة والصهباء من شُغُلي

لقد ثناني النهى عنها وأدبني فلسْتُ أبكي على رسْمٍ ولا طَلل

ويتغنى بالأمرين معاً مستمتعاً في قوله[3]:

كم ليلةٍ قد قطعنا فيكِ صالحةٍ رغيدةٍ صفوها ما شابهُ كدرُ

مع فتيةٍ تتعاطى الكاس مترعةً منْ خَمرةٍ كلَهيبِ النَّارتَزْدهر

تُديرُها منْ بناتِ العُربِ جاريةٌ رشيقةُ القدِّ في أجفانها حور

* **تناقض موقفيه فيما يتعلق بقومه:** سبق تفصيل تأزم وتلازم الثنائيات المتعلقة به مع قومه، لكن لم نشر إلى ما في ذلك من تناقض.

فإذا وجدناه يقول معبراً عن وده لقومه، وتواضعه لهم[4]:

ومن يكنْ عبد قومٍ لا يخالفهمْ إذا جفوهُ ويسترضي إذا عتبوا

قدْ كُنْتُ فِيما مَضَى أَرْعَى جِمَالَهُمُ واليَوْمَ أَحْمي حِمَاهُمْ كلَّما نُكِبُوا

لله دَرُّ بَني عَبْسٍ لَقَدْ نَسلُوا منَ الأكارمِ ما لم تنسلِ العربُ

بل وصل الحد به أن قال[5]:

وأرضى بالإهانةِ معَ أناسٍ أراعيهمْ ولو قتلي أحلُّوا

ونراه ينسب لهم سيادة وشرفاً ممتداً، وشجاعة فائقة، فيقول[6]:

وَيَصْحُبني من آلِ عَبْسٍ عِصابةٌ لها شرفٌ بين القبائل يمتد

---

[1]. السابق: 197.

[2]. السابق: 136- 137.

[3]. السابق: 80.

[4]. السابق: 25.

[5]. السابق:116.

[6]. السابق: 55- 56.

بَهاليلُ مثلُ الأُسدِ في كلِّ مَوْطِنٍ كأنَّ دمَ الأعداءِ في فمهمْ شهدُ

فإنا نجده هو نفسه القائل متهكماً بهم، ومتندراً من صنيعهم[1]:

يُنادُوني وَخيلُ الموْت تجري: محلُّك لا يُعادلهُ محلُّ

وقد أمسوا يعيبوني بأمي وَلوني كلما عَقدوا وحَلُّوا

ويخص بالتقريع والتعنيف سادات قومه، ثم يعمهم أجمعين فيقول[2]:

إذا جحدَ الجميلَ بنو قرادٍ وجازَى بالقَبيح بَنو زيادِ

فَهُمْ ساداتُ عَبْسٍ أيْنَ حَلُّوا كما زعمُوا وفَرْسانُ البلادِ

حَلُمْتُ فما عَرَفتُمْ حقَّ حِلمي ولا ذكرَتْ عشيرَتكُمْ ودادي

والقائل شاكياً من تناقضهم، ومعلناً لؤمهم، ومتذمراً من صنيعهم اللئيم معه[3]:

يُنادُونني في السِّلم يا بْنَ زَبيبةٍ وعندَ صدامِ الخيلِ يا ابنَ الأطايبِ

بل يصرح بأن عداوتهم له صارت مستحكمة ممتدة مع الزمن، وتجاوزت جميع خطوط التراجع، ووصلت حد استعدادهم التحالف مع الشيطان للفتك به والقضاء عليه، يقول[4]:

وَقَومي معَ الأَيَّام عَوْنٌ على دَمي وَقَدْ طلَبوني بالقَنا والصَّفائحِ

ومما يلفت الانتباه أنه اعتمد كثيراً الاسم والفعل المضارع في تعبيره عن الموقفين النقيض فيما سبق، والاسمية تحمل دلالة الاستمرار، والفعل المضارع كما هو معروف يحمل دلالة التجدد والتكرار؛ فأن يكون الأمران النقيضان مستمرين أو متجددين ومتكررين لهو أدعى للغرابة والتعجب.

أهم النتائج: يمكن أن نوجز نتائج البحث في الأمور الآتية:

1. عزة نفس عنترة وأنفته.
2. قوة شخصية عنترة وصلابته، وعدم استسلامه لواقعه المرير.
3. يشعر قارئ شعر عنترة بإحساس داخلي عميق يوحي بضعفه أو بعقدة نقص مسيطرة عليه، لكنه لم يستسلم لذلك ظاهرياً على الأقل.

---

(1). السابق:116.

(2). السابق: 57- 58.

(3). السابق: 35.

(4). شرح ديوانه، عناية أمين سعيد: 36.

4. يحاول عنترة تضخيم شجاعته، والجوانب الإيجابية التي أعطها لتغطية جوانب ضعفه النفسية الداخلية، أو الخارجية الاجتماعية.
5. التمرد الإيجابي في شخصية عنترة، وتكييفه للمتناقضات في حياته وتكيفه معها؛ هو الأمر الذي جعل منه أسطورة البطل الفذ.
6. ألمه النفسي من ظلم الماضي وظلامه لم يتمكن أن يمحوه ألق الحاضر.
7. تردد عنترة بين حق الانتصار للذات، والانتصار للقيم التي يجلها وتسود حياته.
8. على رغم ما بذله عنترة لقبيلته وفي سبيلها، فإنه لم يستطع أن يندمج معها، كما هو حال شعراء القبائل وفرسانها؛ لذلك طغت ذاته على القبيلة في شعره، وكأنه عقاب لماضي القبيلة السيء معه.
9. استنكار عنترة للموازين القبلية المرفوضة المفروضة في واقع مجتمعه جاء ضمنياً غير صريح.

مراجع البحث

الأزهري، أبو منصور (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

الأعشى الكبير، الديوان شرح وتعليق د. محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة.

امرؤ القيس، الديوان ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط2، 1425هـ - 2004م.

الأندلسي، سعيد، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان – الأردن.

البحتري، الديوان ، تحقيق وشرح حسين كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط3.

التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت.1425هـ -2004م.

جميل، الديوان ، تحقيق حسين نصار، دار مصر للطباعة

الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت.

الحميرى، نشوان (المتوفى: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط1،1420 هـ - 1999م.

خليف، يوسف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط4.

دريد، أبو بكر الأزدي (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط1، 1987م.

الدينوري، ابن قتيبة (ت: 276هـ)،الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ.

رضا، أحمد، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة - بيروت.

الزَّوْزَني، حسين بن أحمد (ت: 486هـ)، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي، ط1، 1423هـ - 2002م.

سيده أبو الحسن المرسي (ت: 458هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1417هـ 1996م.

شرح ديوان عنترة، عني بتصحيحه أمين سعيد، المكتبة التجارية الكبرى.

الشيباني، أبو عمرو (ت 206 هـ)، شرح المعلقات التسع المنسوب تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ - 2001م.

ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1977م.

العامري، محمد أحمد، قراءة في أدب العصر الجاهلي، ط2.

العبد، طرفة، ديوان تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، 1423هـ - 2002م.

عنترة، الديوان، عناية وشرح حمدوا طماس، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط2، 1425هـ - 2004م.

فارس، أحمد (ت: 395هـ)، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: 170هـ)كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ - 2005م.

القرشي، أبو زيد (ت 170هـ)، جمهرة أشعار العرب، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

لبيد، الديوان اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط1، 1425هـ - 2004م.

المتنبي، الديوان ، شرح عبد الرحمن البرقوقي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض- مكة المكرمة. السعودية، ط1، 1422هـ-2002م.

مصطفى، إبراهيم ، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

الوائلي، كريم، .الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية.